مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
المجلد (١٧) العدد (٥) أيار (٢٠١٠)

دور مدن وسط الشام في الجهاد ضد الصليبيين - حمص أنموذجاً - (٤٩٠ هـ / ١٠٩٦م – ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م)

د. علي حسين علي
جامعة كركوك / كلية التربية
قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

استأثرت ظاهرة الحروب الصليبية في العصور الوسطى اهتماماً واسعاً من لدن الباحثين في الشرق والغرب على حد سواء، وما زال إقليم الجزيرة الفراتية واتابكيات بلاد الشام تشكل مجالاً خصباً للباحثين والمتخصصين في دراسة تاريخ الحروب الصليبية، وقد عبرّ هذا الاهتمام عن نفسه في سلسلة لم تنقطع من البحوث والدراسات والقصص والحكايات إلى جانب الروايات التي نَسجت عن هذه الظاهرة وتقف وراء ذيوع شهرتها . وعلى قدر تعلّق الأمر بمدينة حمص، فقد وقع الاختيار على موضوع " دور مدن وسط الشام في الجهاد ضد الصليبيين حمص أنموذجاً "(٤٩٠هـ / ١٠٩٦م – ٥٧٠هـ /١١٧٤م) ليكون هدفاً للبحث ومجالاً للدراسة، أو بعبارة أخرى يمكن القول ان هذا الموضوع يمثل استكمالاً لحلقة واحدة من مجموع سلسلة حلقات تمثل امتداداً لمدينة حمص عبر التاريخ الإسلامي، على اعتبار إن هذه الدراسة تهدف إلى إبراز الدور العسكري والسياسي الذي حظيت به مدينة حمص إبّان فترة الحروب الصليبية وكيف كانت محوراً للتجاذبات والمنافسات بين الحكام والقادة المسلمين فيما بينهم من جهة وبينهم وبين الصليبيين من جهة ثانية، سعياً لإعطاء صورة وافية عن تاريخ هذه المدينة العربية الإسلامية في حقبة مثلت واحدة من أكثر حقب تاريخها صراعاً بين الشرق والغرب امتدت قرابة قرن من الزمان،علماً ان الأخبار الواردة عنها نادرة ومتناثرة في ثنايا

الكتب، كما أن المدينة بحاجة للمزيد من الدراسات المعاصرة لهذه المدة أسوة ببقية مدن بلاد الشام الأخرى .

ومما تجدر الإشارة إليه فان الدراسة جاءت لتنتظم حول خيط ناظم واحد مشترك بوصفه مساراً عاماً يهدف لإبراز تاريخ هذه المدينة العريقة وذلك بالتنويه لأهمية موقعها الجغرافي وتفاصيل بنائها لاسيما قلعتها الحصينة فضلا عن التعرض لأحداث فتحها الإسلامي. هذا إلى جانب الوقوف على بواكير تعلقها بتاريخ الحروب الصليبية لإيضاح عمق ارتباطها بمدن بلاد الشام والجزيرة الفراتية لاسيما كلا من مدينتي الموصل وانطاكية، أملاً في ذلك ان يثري معالجة الموضوع بقدر ما يرسم خريطة واضحة لأهم الأحداث التي يثيرها واهم الإشكاليات التي يطرحها .

كما ألقت الدراسة الضوء على مواكبة تدرج حمص بين حكامها وقادتها وما يتبع ذلك من ولاءات لهذا الجانب أو ذاك تبعاً لميولهم وأهوائهم، وأهمها المحاولات المتكررة لعماد الدين زنكي (٥٢١هـ/١١٢٧م – ٥٤١هـ/١١٤٦م) للسيطرة على حمص والتي توّجت اخيراً بأخذها من شهاب الدين صاحب دمشق ثم آل بها الامر الى ابنه نور الدين محمود بعد ان تنازل عن سنجار لصاحب الموصل بدلاً عن حمص، ثم أشارت الدراسة الى من حكم حمص من الحكام تباعاً وأهمهم اسد الدين شيركوه ومن بعده أبناءه .

كما دشنت الدراسة الحديث عن طبيعة العلاقات السياسية لمدينة حمص مع الصليبيين في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، تلك العلاقات التي غلب عليها الطابع السياسي السلمي بين الطرفين وذلك عن طريق الاتفاقيات والمفاوضات التي كانت على شكل تحالفات مع الصليبيين أسوة ببعض القوى المحلية السائدة، هذه الحالة التي ألقت بظلالها الوارفة على سياسة صلاح الدين في المنطقة وأثارت حفيظته فتنبّه على أهمية مدينة حمص وأخضعها لسيطرته بالقوة بوصفها أحدى العقبات التي تقف في طريق مشروعه لوحدة بلاد الشام والموصل ومصر ثم التوجه لاسترداد بيت المقدس .

نبذة موجزة عن مدينة حمص

فيما يختص باسم المدينة لغةً فقد وردت باسم حِمْص بالكسر ثم السكون والصاد مهملة، وهناك من ينطقها حُمص بضم الحاء المهملة[١]، في حين اطلق عليها كلا من الاغريق واليونان والرومان تسمية **EMISA**،[٢] وهكذا فهي مدينة مشهورة منذ القدم وتشتمل على قلعة حصينة تقع على تل عال،وتقع في منتصف الطريق بين دمشق وحلب[3] . واستطرد ياقوت الحموي في سرده لاحداث تاريخ المدينة مشيرا الى ان الذي بناها رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل: حمص بن مكنف العمليقي[٤]، وهناك من يذكر بأن بنائها كان على يد السلوقيين الذين اتخذوها مركزاً لهم، فهي مسقط رأس الإمبراطور الاكابالوس الذي جدد فيها بناء معبد آله الشمس ومنحه الأبهة والفخامة والعظمة كما منحها بعض المزايا فزاد من ازدهارها [٥] .

فتحت المدينة على يد القائد أبي عبيدة عامر بن الجراح (رضي الله عنه) سنة (١٥هـ /٦٣٦ م) بعد انتهائه من أمر دمشق إذ قدم إليها عن طريق بعلبك، فحاصرها وطلب أهلها الأمان فأمنهم وصالحهم على اموالهم وانفسهم وابقى على سور المدينة وكنائسها[٦]، حيث صالح ابو عبيدة اهل حمص على صلح اهل دمشق، وبعث بالاخماس الى الخليفة عمر بن الخطاب مع عبد الله بن مسعود (رضي الله عنهما) وكتب الخليفة عمر الى ابي عبيدة الجراح :"ان اقم بمدينتك وادع أهل القوة من عرب الشام فأني غير تارك البعثة اليك "[٧] ، ثم استخلف ابو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت وسار منها الى حماة [٨] .

وعلى كل حال فأن المدينة تضم قلعة حصينة مشيدة على تل عالٍ كبير اكتسبت في تاريخ الحروب الصليبية أهمية كبيرة فاقت أهمية المدينة نفسها، حيث كانت المدينة في اغلب الأحيان تستسلم بينما تبقى القلعة صامدة شهوراً، كما حدث مع السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٠ هـ /١١٧٤ م) مما دفعه إلى وصفها بقلم القاضي الفاضل قائلا :بأنها " نجماً في سحاب وعُقاباً في عقاب، وهامةً لها الغمامة عمامة وانمله إذا خضبها الأصيل كان الهلال منها قلامة، عاقدة حبوة صالحها الدهرُ على ان لا يحلها بقرعة، عاهدةً عصمة صافحها الزمن على ان لا يروعها بخلعه " [٩]

هذا إلى جانب ان المدينة حضيت باهتمام الرّحالة المسلمين الذين زاروها إبان الحروب الصليبية ونجد في وصف بعضهم تباينا واضحا لها، وقد ظهر هذا التباين بعد تلك الحروب بحوالي قرن من الزمان، ولعل هذا الاختلاف والتباين هناك ما يبرره تبعا للظروف التي أحاطت بحمص ففي عصر الحروب الصليبية تاثرت المدينة سلبا بمستويات عده وهذا ما أكده الرحالة ابن جبير بان واسوار هذه المدينة مبنية من الحجارة السوداء الصلبة المتراصة وأبوابها من الحديد، فخمة المنظر تكتنف المدينة الأبراج الحصينة، اما داخلها " فما شئت من بادية شعثاء، خلقة الارجاء، معلقة البناء، لا اشراف لآفاقها ولا رونق لأسواقها، كاسدة لاعهد لها بنفاقها، وما ظنك ببلد حصن الا كراد منه على اميال يسيرة، وهو معقل العدو، فهو منه تتراءى ناره، ويحرق اذا يطير شراره، ويتعهد اذا شاء كل يوم مغاره " [١٠] .

في حين انه لم يبقَ وضع المدينة على هذه الحال اذا انها تطورت ايجابيا بعد مدة من الزمن عكس ذلك الوصف الذي جاء على لسان الرحالة الاندلسي ابن بطوطا اذا قال : انها مدينة فسيحة مستطيلة الشكل تكثر فيها الاشجار والخضرة، تستقي ماءها من نهر العاصي الذي يبعد عنها مسافة ميل واحد، واهلها من العرب الذين امتازوا بالكرم، والشجاعة والتمرس في قتال العدو لقربهم منه[١١] .

حمص وبواكير الحروب الصليبية

مما تجدر الإشارة إليه ان المعلومات عن مدينة حمص في هذه الحقبة بالذات قليلة جدا إذا ما قورنت ببقية الحقب اللاحقة وبذلك يمكن الاجتهاد بالقول إنَّ احتلال الصليبيين لمدينة انطاكية [١٢] سنة (٤٩١هـ / ١٠٩٧م) مثَّل بواكير تعلّق مدينة حمص بتاريخ الحروب الصليبية، هذا الاحتلال الذي ولّد ردةّ فعل لدى حاكم الموصل (قوام الدولة كربوقا) والذي توجه مسرعاً الى انطاكية اذ بدأ الأمراء والحكام المسلمين بالانضمام الى جيشه فأجتمع به جناح الدولة صاحب حمص مشاركاً بحصار انطاكية بعد اثني عشر يوماً من احتلالها وكان جناح الدولة آخر المنسحبين بعد انتصار الصليبيين على كربوقا [١٣] .

وبعدها واصل الصليبيون التوغل في تخوم بعض مدن بلاد الشام حيث احتلوا معرّة النعمان سنة (٤٩١ هـ /١٠٩٧ م) وارتكبوا فيها أشنع الأفعال واستباحوها أربعون يوماً ثم توجهوا بعدها الى مدينة عرقة وحاصروها أربعة أشهر ولم يقدروا عليها فراسلهم صاحب شيزر ابن منقذ وصالحهم فساروا الى مدينة حمص السنة نفسها وضربوا حصاراً شديداً عليها مما اضطر صاحبها جناح الدولة الى طلب المصالحة فوافقوا على ذلك وساروا الى مدينة عكا[١٤] .

حمص في عهد الزنكيين

المرحلة الاولى

بعد ان اسس عماد الدين زنكي امارته في الموصل سنة (٥٢١هـ / ١١٢٧م) سعى الى البدء بحركته الهادفة الى توحيد الامارات الاسلامية ابتداءً من الموصل وحلب ودمشق ليتسنى له مواصلة الجهاد ضد الصليبيين، وشكلت دمشق واحداً من أهم هذه المحاور الرئيسية التي كانت خاضعة لحكم الاتابك بوري بن طغتكين،وفي الوقت ذاته مثلت كلاً من حماة وحمص البوابة التي لابد من الولوج منها لتسهل السيطرة على دمشق نتيجة لما تمتلكانه هاتين المدينتين من قواعد عسكرية هامة ومراكز اقتصادية للتموين لايمكن بأي حال الاستغناء عنهما في حالة السيطرة على دمشق او حتى حصارها [١٥] هذا الى جانب ان ضمها الى إمارة عماد الدين زنكي التي أصبحت تمتد من الموصل إلى حلب كان من الضرورات ذات الاولوية البالغة الأهمية، وان تحقيقه من شأنه ان يمنح عماد الدين حرية الحركة لضرب المواقع الصليبية الواقعة شرقي نهر العاصي، هذه المواقع التي لطالما ضايقت أمهات المدن الإسلامية كحلب وحمص وحماه وغيرها[١٦]

وقبل الخوض في تفاصيل المحاولات المتكررة لعماد الدين زنكي في السيطرة على حمص لابد من الاشارة الى امر مفاده ان امارة حمص كانت خاضعة لحكم ابناء قراجة ذوي الاصول التركية، ولم يكن حاكمها قريش بن خير خان وأبناءه من بعده ذوي سيرة حسنة اسوة ببقية حكام المنطقة، كما كانوا يطمعون في الاستيلاء على مدينة حماه هدفاً لتوسيع امارتهم وتقوية نفوذهم وقد ظنوا انهم اذا تقربوا من عماد الدين زنكي وساعدوه في انتزاع حماه من

حكم البوريين اصحاب دمشق [١٧]، قد يحقق ذلك لهم أمرين، الأول يطمئن زنكي إليهم ويتركهم وشأنهم في حكم حمص والثاني قد يعهد اليهم بإدارة حماه على اعتبارهم حلفائه المخلصين، وهذا ما يبرر استجابة خير خان بن قراجة لدعوة عماد الدين زنكي للاشتراك معه في حملاته العسكرية[١٨]

وما ان نفض عماد الدين يده من حماة مستخدماً المناورات والخديعة في السيطرة عليها سنة (٥٢٤هـ / ١١٣٠م) دون الخوض في قتال حقناً منه لدماء المسلمين[١٩] ومن ثم سلمها لحليفه خير خان بن قراجة صاحب حمص لقاء العون الذي قدمه له في السيطرة على حماه من جهة ولكونه بذل لعماد الدين المال الوفير لتنازله عنها من جهة ثانية [٢٠] حتى اصبح الطريق معبداً الى حمص، ويبدو ان مدة صفوة العلاقة بين عماد الدين زنكي وحليفه خير خان صاحب حمص لم تدم طويلاً الأمر الذي اثبت ان تسليم حماه لم يكن سوى خدعة من عماد الدين ليطمئنه قبل السيطرة على حمص، فقد أمر بسجنه وإكراهه على مراسلة سكان حمص لتسليم المدينة سلماً [٢١] .

لكن ردة فعل أهل حمص كانت قوية وابدوا من الإرادة التي كانت كالصخرة التي تحطمت عليها طموحات عماد الين زنكي في السيطرة على قلعة حمص فقد دافعوا عنها بعد ان أغلقوا أبوابها وأبطلوا عنها عمل النقابين وضربات المجانيق وبعد اربعين يوماً من الحصار اضطر عماد الدين الى مغادرتها متوجهاً الى حلب [٢٢] وفي العام التالي تكررت المحاولة في حصار المدينة لكنها لم تكن اكثر حظاً من سابقتها وجوبهت بمقاومة شديدة وبالتالي انسحب من جرائها عماد الدين املاً في معاودة المحاولة بصورة انجع في وقت لاحق [٢٣]

يبدو ان المحاولات السابقة واليائسة لعماد الدين زنكي في السيطرة على حمص لم تثنه عن مواصلة طموحاته وتجديد هجومه عليها، هذه المحاولات التي قوبلت بامتعاض عام من اهلها بعد ان وجد حاكمها قريش بن خير خان نفسه عاجزاً عن التصدي للزنكيين، واشار الى ذلك عز الدين بن الاثير بقوله ان اهل حمص " ضجروا من كثرة تعرض عسكر عماد الدين زنكي اليها والى اعمالها وتضييقهم على من بها من جندي وعامي فراسلوا شهاب الدين محمود – صاحب دمشق – في ان يسلموها له، ويعطيهم عوضاً عنها تدمر فأجابهم الى ذلك " [٢٤]

وبالنتيجة قام شهاب الدين واقطع حمص وقلعتها لأحد نوابه وممن يثق به وهو معين الدين أنر وذلك في حدود سنة (٥٣٠هـ / ١١٣٥م) [٢٥] .

وهذا الامر يؤكد عمق الوشائج بين حمص ودمشق التي لم يتردد حاكمها في قبول هذا العرض والذي يضمن له ضم مدينة إستراتيجية كحمص والتي كانت في السابق هدفاً للصليبيين يقتحمون اسوارها بين الحين والاخر، كما يؤشر ذلك على ان ابعاد المحاولات المتكررة لعماد الدين لم تقف عند مستوى السلم الاداري وتغييرات الحكام في حمص فحسب، بل انها طالت مستوى العلاقات والتحالفات مع الامارات الاسلامية فيما بينها إبان فترة الحروب الصليبية .

كما ان الحملات العسكرية من قبل نواب عماد الدين زنكي في حلب وحماه لم تنقطع عن حمص وخاصة من قبل سوار بن ايتكين النائب عن عماد الدين في حلب الا ان المدينة كسابق عهدها استطاعت الصمود والسيطرة على الموقف نتيجة ما كان يصلها من امدادت اقتصادية واقوات مكّنتها من الصمود والتفاوض على هدنة بين الطرفين مفادها عدم تعرض أي منهما للآخر [٢٦] .

وكسابق عهده جدد عماد الدين محاولاته السابقة ايماناً منه ان قيام اية عملية عسكرية ضد الصليبيين يجب ان تتكئ على وحدة اسلامية للإمارات المتعددة في بلاد الشام [٢٧]، وتحقيقاً لهذا الهدف ألغى من جانبه الاتفاق المبرم سابقاً بين نائبه في حلب وبين حاكم حمص ثم سار في (شوال ٥٣١هـ/ آيار ١١٣٧م) مصطحباً معه واحد من اكبر أمرائه وهو حاجبه صلاح الدين الباغسيناني الذي وصفه عز الدين بن الاثير بالمكر والدهاء [٢٨]، لينازل صاحب حمص معين الدين أنر يرافقه في حملته خمسمائة رجل من حلب للاشتراك في هذه الحملة، مستخدماً الترغيب تارةً والترهيب تارةً اخرى في مراسلاته الا انه فشل في اقتحامها بسبب المقاومة الباسلة لأهلها وخاصة حاكمها معين الدين أنر الذي راسله عماد الدين في " تسليمها فأحتج عليه بأنها للأمير شهاب الدين وانه نائبه فيها فنصب الحرب عليها والمضايقة لها أياماً ولم يحظ منها بطائل"[٢٩]، فضلاً عن ظهور بوادر تحالف ثنائي بين اهلها وبين الصليبيين الذين تقدموا لنجدة حمص[٣٠] . حيث خرج كلاً من ملك القدس وأمير طرابلس ريموند الثاني (

(Raymond II) لنجدتها وما ان علم زنكي بخروجهم إليه ترك حصار حمص وسار اليهم وكان على رأس جيشه سيف الدين سوار نائبه في حلب والذي قاتل الصليبيين وانتصر عليهم بعد ان نجا ملك القدس بدخوله حصن بارين [٣١] إما أمير طرابلس فقد وقع في اسر المسلمين، وهنا حاصر عماد الدين حصن بارين واجبر ملك القدس ومن معه من المقاتلين على تسليمه الحصن شريطة إطلاق سراح أسراهم بعد ان دفعوا له خمسين ألف دينار لقاء ذلك [٣٢]
.

ويمكن الاجتهاد بالقول ان دمشق بقيت العقبة الكؤود في طريق طموحات وأهداف عماد الدين زنكي لتوحيد الجبهة الإسلامية وضم بلاد الشام إلى سلطته دون الاستفادة من التناقضات التي كانت قائمة بين الحكام المسلمين ثم الانطلاق لقتال الصليبيين وكسر شوكتهم واضعاف نفوذهم وتقليص رقعة الارض التي يحتلونها تدريجياً، واغلب الظن ان حمص كانت دائماً الممر او الجسر الذي لابد من الولوج منه للسيطرة على دمشق وفق الاستراتيجية العسكرية لعماد الدين زنكي ولعل ذلك يفسر لنا كثرة المحاولات المتكررة لضمها الى امارته كّلما استعاد قوته وسنحت له الفرصة الى ذلك .

وما ان تمكن عماد الدين من لملمة شعث جيشه وقوى استحكاماته العسكرية حتى شرع في مهاجمة دمشق والتي كادت ان تسقط لولا تهديد الامبراطور البيزنطي يوحنا كومنين (٥١٢هـ/١١١٨م– ٥٣٨هـ/١١٤٣م) لاراضي شمال بلاد الشام الامر الذي حدا بعماد الدين ان يرسل العديد من عساكره الى حلب تعزيزاً لموقفها الدفاعي [٣٣] هذا الى جانب مناعة استحكاماتها الادارية الامر الذي اضطر الامبراطور البيزنطي الى تركها والتوجه الى شيزر[٣٤]، على ان تملك شيزر سيتيح للصليبيين السيطرة على الوادي الاوسط لنهر العاصي ويمنع في الوقت ذاته عماد الدين زنكي من مواصلة تقدمه نحو بلاد الشام [٣٥] لذلك ترك عماد الدين حصار حمص وأسرع لنجدة شيزر والتي لم يتمكن المهاجمين من دخولها [٣٦] .

وبالتالي آن الاوان لهذا الصراع ان ينتهي وان يتوّج عماد الدين انجازاته بالسيطرة على حمص ثم دخولها وذلك عن طريق علاقات المصاهرة التي لطالما كان لها الدور الفاعل خلال هذه الحقبة لانهاء الخصومات واقامة التحالفات السياسية العسكرية، فقد عرض على حكام

دمشق ان يتزوج صفوة الملك زمرد خاتون والدة الاتابك شهاب الدين محمود حاكم دمشق بعد ان شاهد جانباً من أثرها في توجيه سياسة امارة دمشق مقابل ان يقوم بتزويج ابنته من الاتابك محمود، لقاء تسلمه مدينة حمص على ان يعطي نائبها بعض الحصون القريبة منها [٣٧]، ويبدو ان عماد الدين كان يأمل من هذه المصاهرات ان يمد جسوره الى دمشق ويسيطر عليها الا انه لم يتعد حدود حمص قط، وبالتالي فقد راهن على الحصان الخاسر في السباق ولم يحصل على هدفه الأساسي من هذا الزواج وهو ما عبّر عنه عز الدين بن الأثير بمليء فمه قائلا : "إنما حمله على التزوج بها ما رأى من تحكيمها في دمشق فظن انه يملك البلد بالاتصال إليها فلما تزوجها خاب أمله ولم يحصل على شيء فاعرض عنها " [٣٨] .

المرحلة الثانية

يبدو ان الصراع حول مدينة حمص وما تأثرت به من تجاذبات سياسية وعسكرية لم ينته مع وفاة عماد الدين زنكي سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) وانما اخذ ينشط مع ابنه نور الدين محمود صاحب مدينة حلب الذي سعى جاهداً الى تحقيق وحدة بلاد الشام مستهدفاً محاربة الصليبيين في انطاكية على وجه الخصوص، ومن ثمّ دمج وتوحيد القوى الاسلامية المتناثرة في شمالي العراق وبلاد الشام لتكوين جبهة اسلامية متماسكة متبعاً في ذلك سياسة والده [٣٩] .

بعبارة اخرى ان نور الدين استقر في حلب بعد وفاة والده، في حين دخلت حمص في طاعة اخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل (٥٤١هـ/١١٤٦م – ٥٤٤هـ/١١٤٩م) ثم خلفه اخوه قطب الدين مودود (٥٤٤هـ /١١٤٩م – ٥٦٥هـ/١١٧٠م)، وهذا التغيير في حيازة الزعامة على الموصل شجع نور الدين محمود بالتوجه لمهاجمة سنجار [٤٠] أملاً في تحقيق اولى خطوات مشروعه التوحدي اولاً ولانها تتوائم مع حجم إمكانياته الادارية والعسكرية المتاحة والتي لا تتوفر للسيطرة على مدينة قوية التحصين نظير حمص ثانياً، فأحتلها بسرعة وبمساعدة من أمرائها وبالأخص واليها المقدم عبد الملك [٤١] . وهذا الأمر ولّد امتعاضاً لدى أخيه قطب الدين الذي اعدّ جيشاً لاستردادها [٤٢] ونتيجة لذلك توصلا إلى عقد صفقة سياسية بمساعدة الوزير الموصلي جمال الدين الأصفهاني تمخض عنها انسحاب نور الدين

محمود من مدينة سنجار مقابل التنازل له عن مدينة الرحبة [٤٣] وحمص القريبة من دمشق [٤٤] .

ولعل هناك اهداف اخرى لنور الدين حققها بالسيطرة على حمص واتخاذها ورقة رابحة للمساومة، وهي التي دفعت البعض بالاجتهاد بالقول ان سنجار لم تكن هدفاً مستمراً له بل للمساومة فقط، وانها لم تكن ذات فائدة كبيرة له بالمقارنة بحمص، مع عدم اغفال ان حمص كانت لها أهميتها التجارية، ووقعت في قلب الدولة النورية فضلاً عن وقوعها على خطوط التجارة المؤدية الى حلب في الشمال ودمشق في الجنوب . ويبدو ان اتجاه نور الدين للاستيلاء عليها يرجع إلى أنها تمثل أول منطقة بعد نهر الخابور الذي كان حداً فاصلاً بين أملاك نور الدين وأملاك أخيه سيف الدين غازي من قبل، وربما أعان نور الدين في تنفيذ اهدافه شخصية اخيه قطب الدين مودود الذي وصف بأنه لين الجانب، ثم دعم امراء الموصل وما جاورها من اعمال له [٤٥] .

هذه المناورات على مدينة حمص من قبل نور الدين وسعيه المتواصل في السيطرة عليها بصورة غير مباشرة دفعت باحث معاصر الى الاشادة بعمق الوعي الاستراتيجي والاقتصادي الكبير لنور الدين بطلبه الرحبة مع حمص، فبعد ان احتل الصليبيين موانيء الساحل الشامي كان لابد من منفذ بيدل لمناطق الشام الداخلية بغية استمرار الحركة التجارية التي لاغنى عنها، والرحبة بوصفها ميناءاً صغيراً مطل على نهر الفرات ستشكّل منفذاً جيداً تجاه العراق، ومن ثم باتجاه الشرق الاسلامي بأكمله [٤٦] .

ومهما يكن من امر، فقد شهدت مدينة دمشق صراعاً حامياً على السلطة وتحديداً في سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) بين حاكمها مجير الدين ابق وبين بعض رجالات الدولة الطامعين في الوصول الى سُدّة الحكم والسيطرة على مقدرات البلاد، الامر الذي انعكس على الفوضى الداخلية حيث قام الثائرون " وقصدوا باب السجن وكسروا اغلاقه واطلقوا من فيه واستنفروا جماعة من اهل الشاغور وغيرهم وقصدوا الباب الشرقي وفعلوا مثل ذلك وحصلوا في جمع كثير وامتلأت بهم الازقّة والدروب ... " [٤٧] .

وبمقدار الوصف الذي قدمه ابن القلانسي حول تردي الاوضاع الداخلية يصف لنا ابن الاثير حال وهن وضعف دمشق تجاه الاخطار الخارجية بقوله : " لما ملك الفرنج مدينة عسقلان، كان نور الدين يتلهف عليها ولا يستطيع اخراجهم منها لان دمشق في طريقه وليس له طريق سواها لاعتراض بلاد الفرنج في الوسط ... فقوي الفرنج بها حتى طمعوا في دمشق، واستضعفوا مجير الدين وتابعوا الغارة على أعماله، وأكثروا القتل بها والنهب والسبي، وزاد الأمر بالمسلمين بها الى ان جعل الفرنج على اهل المدينة قطيعة – جزية –كل سنة، فكان رسولهم يجيء الى دمشق ويجبيها من اهل البلد، ... حتى ارسل الفرنج واستعرضوا عبيدهم وإماءهم ممن أُخذ من سائر بلاد النصرانية وخيروهم بين المقام عند مواليهم او العودة الى أوطانهم، ... وزالت طاعة مجير الدين عن اهل البلد ... فلما كانت الامور بها هكذا، خاف اهلها واشفقوا من العدو، فجأروا الى الله تعالى ... فاستجاب لهم وأذن في خلاصهم مما هم فيه... " [٤٨] .

نتيجة لذلك تكررت محاولات نور الدين محمود للسيطرة على دمشق عن طريق عدّة مبررات منها (أ) انه أحنقه تعاون اهلها مع كبار رجال المملكة الصليبية والذي عدّه تطرفاً في التعامل مع الحلفاء والمناصرين [٤٩]، (ب) العمل على ضمها الى الجبهة الاسلامية الموحدة في بلاد الشام [٥٠]، (ج) سعياً منه للقضاء على البيت البوري خاصة بعد استيلاء الصليبيين على عسقلان [٥١]، بعد ان نكص بلدوين الثالث حاكم مملكة بيت المقدس عن مساندة اهل دمشق والذي كان منشغلاً مع جميع فرسانه في محاصرة عسقلان [٥٢] . واتساقاً مع هذه المعطيات سعى نور الدين محمود جاهداً للايقاع بين مجير الدين ابق وبين اخلص اعوانه ومساعديه من اجل إضعافهم ثم حاصر المدينة وبعد عدة مناوشات بين الطرفين خضعت لسيطرة نور الدين [٥٣] .

ونتيجة لما سبق أنتهت العملية بعقد الاتفاق بين نور الدين محمود وبين المهزومين وعلى رأسهم مجير الدين ابق الذي لم يُجد احتمائه بالقلعة نفعاً والذي قرر ترك دمشق وتسليم القلعة واكراماً من لدن نور الدين اقطعه حمص واعمالها [٥٤] بعد ان رخّص له باصطحاب خواصه ومن اراد اللحاق به من اتباعه بعد ان كتب له منشوراً بذلك [٥٥] غير انه تقرر طرده بعد بضعة اسابيع للارتياب في تآمره ومراسلته لصحبةً له من اهل دمشق ليسلموا اليه البلد [٥٦]

وعوّض بدلاً عنها بحكم بالس [٥٧] على الفرات الا انه " لم يرضها وسار منها الى العراق، واقام ببغداد، وبنى بها داراً بالقرب من النظامية وتوفي فيها " [٥٨] .

وعلى الرغم من محاولات نور الدين للسيطرة على حمص سياسياً وعسكرياً الا انه لم يهمل الجانب الاداري والاقتصادي للمدينة حيث تداركها بالعمارة [٥٩] ونشّط بنيانها الاقتصادي وفقاً لإعلانه منشور شيزر القاضي باعفاء المسافرين والتجار من الضرائب والمكوس وبالنتيجة اسقطت عن حمص الكثير من الضرائب التي اثقلت كاهلها والتي كانت بحدود ست وعشرون ألف دينار سنوياً [٦٠]، فضلاً عن ان نور الدين كان دائم التفقد للمدينة وشديد الحذر عليها لكونها على تماس من الخطر الصليبي الامر الذي انعكس على اهتمامه بسور القلعة، وتجديده لها بالبناء الصيانة [٦١] .

وهكذا بقيت مدينة حمص وقلعتها كسابق عهدها مركزاً للتجاذبات والمهادنات بين الاطراف المحيطة بها والمتنازعة عليها لحسم الصراع حيناً ولإثارته حيناً آخر " لكونها من الاماكن الحصينة والقلاع المنيعة " [٦٢] .

أوكل نور الدين محمود مهمة حمص الى أسد الدين شيركوه باعتبارها اقطاعاً تابعاً له سنة (٥٦٣هـ /١١٦٩م) [٦٣] فضلاً عما في يده من الاقطاعات الاخرى [٦٤] واستمرت بيده لحين ذهابه في حملة الى مصر ثم بقيت بيد نوابه، وفيها يقيم ابنه ناصر الدين محمد لحين وفاة أسد الدين شيركوه في مصر والتي على أثرها استرجع نور الدين حمص من نواب اسد الدين سنة (٥٦٤هـ /١١٦٩م) [٦٥] ومنحها كأقطاع للأمير فخر الدين مسعود الزعفراني باستثناء قلعتها التي كان فيها والٍ يحفظها [٦٦] .

حمص والسلطان صلاح الدين الايوبي

تولى السلطان صلاح الدين الايوبي الحكم في ظروف سياسة صعبة ومعقدة كان يمر بها العالم الاسلامي بعد انكماش سلطة الخلافة العباسية وسقوط بيت المقدس بيد الصليبيين سنة (٤٩١ هـ /١٠٩٧ م) ثم تهديدهم للامارات الاسلامية في بلاد الشام ومن هنا شكل عهده مرحلة مهمة من تاريخ العصور الوسطى وهذا مادفع المستشرق هاملتون جب الى

التصريح بملىء فمه قائلا:مثل عهده "احدى تلك اللحظات النادرة والمثيرة من التاريخ البشري" [٦٧] .

ومهما يكن من امر فقد توجه صلاح الدين الايوبي في سنة (٥٧٠هـ / ١١٧٥م) الى بلاد الشام بعد مكاتبة اهل دمشق له فسار اليها في سبعمائة فارس وعدة قليلة فخرج لاستقباله من كان بها من العساكر واستقبل استقبالاً عظيماً من اهلها وملك المدينة " بلا ضربة ولا طعنة " [٦٨]، وبعد ان استقر له الامر في دمشق رتب احوالها واستخلف عليها اخاه سيف الاسلام (طغتكين) وسار منها الى مدينة حمص حيث كانت المدينة تحت حكم الامير فخر الدين مسعود الزعفراني الذي خرج منها بعد وفاة نور الدين زنكي وذلك لسوء سيرته لدى سكانها، اما قلعة المدينة الحصينة فكان يتولاها والي آخر لم تذكر المصادر اسمه يتعهد برعايتها .

نزل صلاح الدين على مدينة حمص وارسل الى سكانها عارضاً عليهم تسليمها بدون قتال وهي السياسة العامة التي درج عليها في فتح القلاع والمدن الا انهم رفضوا ذلك فقاتلهم ثم ملك المدينة وأمّن اهلها على انفسهم واموالهم، الا ان قلعة المدينة لم تستسلم ففرض عليها حصاراً ثم ما لبث ان رحل عنها تاركاً من يحاصرها بدلاً عنه متوجها بذلكً الى مدينة حلب سنة (٥٧٠ هـ /١١٧٥ م)[٦٩]، على اعتبارها بوابة اتابكية الموصل وتابعة لها ومتحالفة معها ومن المؤمل ان تشكل تهديداً مباشراً له اذا لم يسارع في السيطرة عليها ، فقد استمر حصاره لمدينة حلب ثلاثة اشهر الا ان صاحبها (سعد الدين كمشتكين) رفض تسليم المدينة صلحاً وتآمر مع زعيم الحشيشية (الإسماعيلية) راشد الدين سنان بن سلمان بن محمد بن راشد البصري (ت٥٨٨هـ /١١٩٢م) بعد ان ضمنوا له الأموال والإقطاع من اجل التخلص من صلاح الدين الايوبي فارسل جماعة اندسوا في معسكر صلاح لاغتياله الا ان المحاولة لم يكتب لها النجاح وتم القاء القبض على المُندسّين وقتلهم جميعاً [٧٠] .

وعندها لجأ كمشتكين الى طريقة اخرى في المناورة سعيا منه للتخلص من صلاح الدين، الا وهي مراسلة الصليبيين وطلب المساعدة من (ريموند الثالث الصنجيلي **Raymond III**) امير طرابلس[٧١] ، المشرف على مملكة بيت المقدس بعد وفاة ملكها

عارضاً عليه خطة مهاجمة مدينة حمص مع توجيه نداء الى أمارة الموصل لإرسال قواتها ايضاً لمهاجمة صلاح الدين[٧٢] وهكذا ابدى حاكم طرابلس استعدادا للدفاع عن حلب، ليس حبا بها ودفاعا عنها وانما ادراكا منه لخطورة النتائج المترتبة لانتصار صلاح الدين عليهم[٧٣]. الا ان هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح أيضاً، فخطة (كمشتكين) كان الهدف منها حصر قوات صلاح الدين الايوبي بين فكي كماشة والمتمثلة بحلب وقلعة حمص وضربها من قبل قوات الصليبيين وقوات الموصل من جهة وقطع خطوط مواصلات عساكر صلاح الدين القادمة من دمشق الى حلب من جهة اخرى، الا ان قوات الموصل لم تتحرك لمهاجمة صلاح الدين بسبب تردد حاكمها الذي رفض سابقاً التوجه الى دمشق وتسلمها من اهلها، وامام هذا الامر راسلت المدينة صلاح الدين الايوبي الذي عبر بقواته من مصر وتسلمها، اما امير طرابلس فكانت له اطماع وغايات في السيطرة على مدينة حمص فضلاًعن الاموال الكثير التي اغراه بها كمشتكين[٧٤].

تنّبه صلاح الدين الايوبي الى الخطة المحاكة ضدة من قبل كمشتكين وامير طرابلس الصليبي فأرسل قوة عسكرية لمهاجمة مدينة طرابلس، هذه القوة التي تمكنت من الاقتراب من المدينة وقتل واسر عدد من الصليبين ثم عادة محملة بالغنائم [٧٥] ، وبعدها فك حصاره عن مدينة حلب متوجهاً الى مدينة حمص لإنهاء امر قلعتها والذي اكتفى حينها بترك حامية تستمر في حصارها وتقطع عنها الميرة والتموين[٧٦] وهذا ما اضطر (ريموند) امير طرابلس من الانسحاب والتراجع خائباً الى مدينته[٧٧].

ونتيجة لما سبق، فقد نصّب صلاح الدين المنجنيقات على المدينة وضرب حصاراً قوياً حولها حتى ملكها في (شعبان سنة ٥٧٠هـ/ ايلول ١١٧٤م) وقد أشيعت في فتح قلعة مدينة حمص رواية مفادها بان صلاح الدين استخدم العقارب التي كانت ترمى بالمنجنيقات على القلعة لإرباك المدافعين عنها، وهذه الطريقة في استخدام الحشرات اللاسعة والسامة استخدمت لاحقاً من قبل ريتشارد قلب الاسد عندما استولى على مدينة عكا سنة (٥٨٧ هـ /١١٩١ م) حيث رمى بالمنجنيقات خلايا النحل على الحامية مما اربكها وفرقها واشاع الفوضى بين صفوفها[٧٨] وقد اشار صلاح الدين بقلم القاضي الفاضل الى استخدام العقارب

في رمي مدينة حمص بقوله : " فكتنفت بها عقارب منجنيقات لا تطبعُ طبع حمص من العقارب" (٧٩)

وهكذا فقد ملك صلاح الدين مدينة حمص وقلعتها بالقوة ورتب فيها والياً وتجمعت قواته فيها حتى بلغت سبعة الآلف فارس ومجموع كبير من المقاتلين وعّين عليها والياً لتنظيم احوالها[٨٠] واتخذها صلاح الدين قاعدة لتجميع القوات واستراحتهم واعادة تنظيمهم واستقبل فيها الشعراء لرفع الروح المعنوية للمقاتلين المسلمين والاحتفال بالانتصار والاستعداد للمراحل المقبلة من الصراع لضم بلاد الشام تحت رايته لمواجهة الغزاة الصليبيين .

ومن ابرز القصائد التي لهج بذكرها الشعراء عن فتح قلعة حمص قصيدة للعماد الأصفهاني مطلعها :

إيابُ ابن أيوب نحو الشَّام ... على كل ما يرتجيه ظُهورُ
بيوسُف مِصْرٍ وأيّامِهِ ... تَقَرُّ العيونُ وتَشْفى الصُّدُورُ
رأت منك حمصُ لها كافياً ... فواتاك منها القويُّ العَسِيرُ[٨١]

وعندما خيّم السلطان بظاهر حمص قصده ابن الدهان الشاعر بقصيده أوّلها:

ما نامَ بَعْدَ البَيْنِ يستحلي الكَرى ... إلا لِيَطْرُقَه الخيالُ اذا سَرى
كَلِفٌ بِرُبْكُمُ فلمَّا عاقه ... بُعْدُ المَدَى سَلَكَ الطَّريق الاخصرا
ومُوَدَّع أمرَ التفرُّق دَمْعَه ... ونَهَتْهُ رِقْبَةُ كاشح فَتَحَيَّرا
تُرْدِي الكتائبَ كُتْبُهُ فإذا غَدَتْ ... لم يُدْرَ أنْفَد أسْطُراً أم عسكرا[٨٢]

ولّما تسلم السلطان صلاح الدين قلعة حمص، نظّم العماد الأصفهاني قصيدة طويلة مدحاً بالسلطان،جاء مطلعها :

أجيرانَ جَيْرون مالي مُجيرُ ... سوى عَطْفِكمْ فاعدِلُوا أوْ فَجُورُوا
ومالي سواى طَيْفِكُمْ زائرٌ ... فلا تمنعوه اذا لمْ تزوروا
يَعِزُّ عليَّ بأَنَّ الفؤادَ ... لدَيْكُمْ أسيرٌ وعنكم أسِيرُ [٨٣]

وبعد استتباب الاوضاع في مدينة حمص اقطعها صلاح الدين لابن عمه ناصر الدين بن اسد الدين شيركوه الذي امتاز بصفات القيادة فضلاً عن كونه ابن اسد الدين شيركوه عم صلاح الدين ومربيه، والذي سوف يكون له دور بارز في مساندة صلاح الدين في جميع معاركه لتوحيد جبهة بلاد الشام من جهة وفي مقاومة الوجود الصليبي من جهة اخرى[٨٤] .

هوامش البحث

(*) هذا البحث هو بمثابة خطوة نحو مشروع أضخم يعده الباحث عن موضوع بنفس العنوان ليشمل تاريخ مدينة حمص بشكل كامل إبان عصر الحروب الصليبية، وسوف يستغرق انجازه عدة فقرات .

(١) ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله، معجم البلدان،ط٢، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥)، ج٢، ص٣٠٢ .

(٢) احمد الشنتناوي وآخرون : دائرة المعارف الاسلامية،مادة حمص، للمستشرق اليسيف (N. ELISSEEFF) ترجمة : احمد الشنتاوي وآخرون (طهران : المكتبة التجارية، د. ت)، مج٨، ص١٠٥ .

(٣) القلقشندي، احمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق : محمد حسين شمس الدين (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)، ج٤،ص١١٢ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٢.

(٥) ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم : الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (دمشق، ١٩٧٨)، ج٣، ق٢، ص٧٨٧ .

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٣ .

(٧) ابن جعفر، ابو الفرج قدامه الكاتب البغدادي: كتاب الخراج وصنعة الكتابة، نبذ منه ملحقه بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٨٩)، ص ٢٥٥ . وينظر: الازدي، محمد خير الدين : موسوعة حلب الحضارية (حلب، ١٩٨٨)، مج٢، ص٢٦٠ .

(٨) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٣ .

(٩) أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تعليق : إبراهيم شمس الدين (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)، ج٢، ص٢٣٠.

(١٠) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي: رحلة ابن بطوطة (المُسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار)، تحقيق : د. علي المنتصر الكتاني (ط٢، بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩)، ج١، ص٨٥ .

(١١) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد : رحلة ابن جبير، تقديم : محمد مصطفى زيادة (بيروت : دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٤)، ص٢٣٢ .

(١٢) انطاكية : بلد عظيم ذو سور وفصيل ولسوره ثلاثمائة وستون برجاً وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل، وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية، موصوفة بالنزاهة والحُسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . ينظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج١، ص٢٦٦–٢٦٧ .

(١٣) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم : الكامل في التاريخ (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ج٩، ص١٥–١٦.

(١٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص١٦ .

(١٥) خليل، عماد الدين : عماد الدين زنكي (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٧١)، ص١١٩ .

(١٦) حومد ، اسعد محمود : تاريخ الجهاد لطرد الغزاة الصليبيين (دمشق،٢٠٠٢)، ج١، ص٢٩٢ .

(١٧) كانت مدينة حماه تخضع لحكم الأسرة البورية في دمشق ويحكمها بالنيابة عن بوري بن طغتكين ابنه بهاء الدين سونج . ينظر : ابن العديم، كمال الدين ابي القاسم عمر بن هبة الله : زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق : د.سهيل زكار (دمشق : دار الكتاب العربي، ١٩٩٨)،ج٢، ص٤٣٨–٤٤٠ .

(١٨) حومد : تاريخ الجهاد لطرد الغزاة الصليبيين، ج١، ص٢٩٦ –٢٩٧ .

(١٩) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص٢٥٢ .

(٢٠) ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة بن اسد بن علي محمد التميمي : ذيل تاريخ دمشق (بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨)، ص٢٢٨ ؛ العظيمي، محمد بن علي بن محمد بن احمد : تاريخ حلب (مختارات من تاريخ حلب)، تحقيق : د. سهيل زكار (مطبوع ضمن كتابه الحروب الصليبية)، (دمشق : دار حسان، ١٩٨٤)، ج٢، ص٦٧٩.

(٢١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٨ .

(٢٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب،ج٢، ص٤٤١ .

(٢٣) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة : دار أحياء التراث العربي، ١٩٥٣)،ج١، ص٤٦ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج٢، ص٤٥١-٤٥٢ .

(٢٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٢ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٩٠ ؛ ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل بن محمد : المختصر في اخبار البشر (بيروت : دار المعرفة، د.ت)، ج٣، ص١٠ .

(٢٥) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٩٠ .

(٢٦) سبط ابن الجوزي، شمس الدين بن يوسف بن قزاوغلي التركي : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان (الهند : دائرة المعارف الاسلامية، د. ت)، ج٨، ص١٦٥ .وللمزيد من التفاصيل ينظر :

Stevenson, William Barron : The Crusaders in the East (Cambridge: 1967), p. 142 .

(٢٧) عاشور، سعيد عبد الفتاح : الحركة الصليبية (ط٣، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٦)، ج١، ص٥٧٤ . وللمزيد من التفاصيل ينظر :

Grousset, R : Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, (Paris, 1953),11, p .132 .

(٢٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٩٨ .

(٢٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٨ .

(٣٠) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج٢، ص٤٥٣-٤٥٤ .

(٣١) بارين : مدينة حَسنة بين حلب وحماه من جهة الغرب . ينظر : ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله : معجم البلدان (ط٢، بيروت : دار صادر، ١٩٩٥)، ج١، ص٣٢١ .

(٣٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٨-٢٥٩ .

(٣٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٠١ .

(٣٤) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماه يوم واحد . ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٣ . وعن حملة الامبراطور البيزنطي صوب شيزر . ينظر : ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج٢، ص٤٥٦-٤٥٨، وينظر :

. p . 127 . ، R : Histoire des Croisades،Grousset

(٣٥) طقوش، محمد سهيل : تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام (بيروت : دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩)، ص١٢١ -١٢٢ .

(٣٦) رنسيمان، ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة : السيد الباز العريني (ط٢، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨١)، ج٢، ص٣٤٤-٣٤٧ .

(37) (Grousset, R : Histoire des Croisades, p . 127 .

(٣٨) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٠١.

(39) Setton, Kenneth Meyer : A History of the Crusades (Wisconsin, 1969), 1, pp . 513-514 .

(٤٠) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة ايام، وهي في لحف جبل عال تشتهر بطيب هوائها وكثرة البساتين والنخل . ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٢ .

(٤١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٦٠.

(٤٢) ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل : البداية والنهاية، تحقيق : حامد احمد الطاهر (القاهرة : دار الفجر للتراث، ٢٠٠٣)، ج١٢، ص٢٤٢ .

(٤٣) الرحبة : قرية من قرى دمشق، بينها وبين دمشق يوم . ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٣، ص٣٣-٣٤ .

(٤٤) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق : عبد القادر احمد طليمات (القاهرة :دار الكتب الحديثة، بغداد : مكتبة المثنى و د. ت)، ص٩٦-٩٧ . وينظر : عاشور : الحركة الصليبية، ص٦٢١ .

(٤٥) جب، هاملتون : سيرة نور الدين، ترجمة وتعليق : د. محمد مؤنس عوض (منشور ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية بإشراف كينيث سيتون)، (رام الله : بيت المقدس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ج١، ص١٨٠.

(٤٦) الحايك، منذر : مملكة حمص في العصر الأيوبي (دمشق، ٢٠٠٢)، ص٧٤

(٤٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٣٠٧ .

(٤٨) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص١٠٦ -١٠٧ .

(٤٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٣٠٨ . وللمزيد من التفاصيل ينظر : حبشي، حسن : نور الدين والصليبيون (القاهرة : دار الفكر العربي، د. ت)، ص٦٣-٦٤ .

(٥٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٣١٢ . وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحويري، محمود محمد : بناء الجبهة الاسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين (ط٧، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤)، ص١٠٨ .

(٥١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٣٢٧ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٩٨ . وللوقوف على مزيد من التفاصيل حول حصار وسقوط عسقلان . ينظر :

الصوري، وليم : تاريخ الحروب الصليبية (الاعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ترجمة : د. سهيل زكار (بيروت : دار الفكر، ٢٠٠٣) . ج٢، ص٨٠٩ –٨٢٣ .

(٥٢) الصوري : المصدر نفسه، ج٢، ص٨١٥ .

(٥٣) حبشي : نور الدين والصليبيون، ص٧١ . وللمزيد من التفاصيل ينظر :
Grousset, R : Histoire des Croisades, p . 365 .

(٥٤) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص١٠٧ .

(٥٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٣٢٨ .

(٥٦) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص١٠٨ . وللمزيد من التفاصيل ينظر : طقوش : تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ، ص٢٨٨ .

(٥٧) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة، وهي على ضفة الفرات الغربية . ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج١، ص٣٢٨ .

(٥٨) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٩٨ –٣٩٩ .

(٥٩) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج١، ص٤٥٧. وللمزيد من الاطلاع على التنظيمات الادارية والعمرانية لنور الدين محمود. ينظر : جب : سيرة نور الدين، ج١، ص١٦٥ .

(٦٠) ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج١، ص٤٠.

(٦١) البنداري، الفتح بن علي بن محمد : سنا البرق الشامي (وهو اختصار لكتاب البرق الشامي) للعماد الاصفهاني، تحقيق : فتحية النبراوي (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٧٩)، ص٦٣–٦٤ .

(٦٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٢ .

(٦٣) البنداري : سنا البرق الشامي، ص٦٤ .

(٦٤) الحنبلي، احمد بت ابراهيم : شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق : ناظم رشيد (بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨)، ص٣١ .

(٦٥) ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي (بيروت : دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٧)، ج٢، ص٤٨٠ .

(٦٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١٠،ص١١ .

(٦٧) جب، هاملتون : صلاح الدين الايوبي (دراسات في التاريخ الاسلامي)، ترجمة : يوسف ايبش (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣)، ص١١٨ . وللمزيد من التفاصيل ينظر : عباس، علي سلطان : مدينة عكا في العهدين الايوبي والمملوكي، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٧)، ص٢٦ .

(٦٨) ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبد الحي : شذرات الذهب في اخبار من ذهب (بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، ج٤، ص٢٣٦ .

(٦٩) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٣ .

(٧٠) المصدر نفسه والجزء والصفحة ؛ ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢،ص٢٢٩ .

(٧١) القمص صاحب طرابلس :المقصود به ريموند الثالث (**Raymond III**) كونت طرابلس،ويراد اسمه لدى المصادر التاريخية بأسم ريمند الصنجيلي،كان اخر حكام طرابلس من الاسرة التولوزية التي حكمت طرابلس ثمانين عاما،كما كان اطولهم مدة في الحكم (٣٦) سنة،وحفلت مدة حكمه بتطورات هامة .فقد خاطر بتصعيد الموقف مع الامبراطورية اذ شن اسطوله هجوما على جزيرة قبرص،كما وقع اسيرا بيد نور الدين محمود زنكي وبقى أسيرا قرابة إحدى عشر عاما،وفي العشر الأخير من حكمه أصبح وصيا على ملك بيت المقدس بلدوين الرابع (**Beldwin VI**) بعد ان كانت طرابلس خاضعة في اول حكمه لوصاية ملك بيت المقدس بلدوين الثالث(**Beldwin III**) حتى انه رشح لان يكون ملكا على مملكة بيت المقدس الصليبية فضلا عن طرابلس وطبرية . وقد عقد هدنة مع صلاح الدين بن ايوب مالبث ان نقضها، وكانت وفاته سنة

(٥٨٣ هـ /١١٨٧ م) بعد تحرير بيت المقدس . ينظر :تدمري، عمر عبد السلام : تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (ط٢، بيروت :مؤسسة الرسالة،١٩٨٤)، ج١،ص ٥٠٨ . ٥٣٢ .

(٧٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤ .

(٧٣) التكريتي،محمود ياسين :الايوبيون في شمال الشام والجزيرة (بغداد :دار الرشيد للنشر،١٩٨١)،ص٩٦.

(٧٤) الجميلي،رشيد:دولة الاتابكة في الموصل (بيروت:دار النهضة،١٩٧٠)،ص١١٦.

(75) Setton : A History of the Crusades,1, p . 530.

(٧٥)

(٧٦) جب :صلاح الدين الايوبي،ص١٢٣ .

(٧٧) ابن كثير : البداية والنهاية، ج٢، ص٣٢٠ .

(٧٨) اكسبارا، اندر : الحقيقة اغرب من الخيال (بيروت،١٩٨٨)، ص٢١٢ . وينظر : عباس : مدينة عكا في العهدين الايوبي والمملوكي، ص٤٦ .

(٧٩) ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢، ص٢٣٠.

(٨٠) ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢، ص٢٣٠–٢٣١؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص٢١ .

(٨١) ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢، ص٢٣٠ .

(٨٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٢ .

(٨٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤٢ .

(٨٤) الحايك : مملكة حمص في العصر الأيوبي، ص٩٩–١٠٠ ..

ثبت المصادر والمراجع

أ – المصادر الاولية :

– ابن الاثير : عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .

(١) – الكامل في التاريخ (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٨) .

(٢) – التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق : عبد القادر احمد طليمات (القاهرة :دار الكتب الحديثة، بغداد : مكتبة المثنى و د. ت) .

– ابن بطوطة : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

(٣) رحلة ابن بطوطة (المُسماة تحفة النظّار في غرائب الامصار)، تحقيق : د . علي منتصر الكتاني (ط٢، بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩) .

– البنداري : الفتح بن علي بن محمد (ت٦٤٢هـ /١٢٤٤م) .

(٤) سنا البرق الشامي (وهو اختصار لكتاب البرق الشامي) للعماد الاصفهاني، تحقيق : فتحية النبراوي (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٧٩)

– ابن جبير : ابو الحسين محمد بن احمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) .

(٥) رحلة ابن جبير، تقديم : محمد مصطفى زيادة (بيروت : دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٤) .

. ابن جعفر: ابو الفرج قدامه الكاتب البغدادي (٣١٩ هـ /٩٣١ م).

(٦) كتاب الخراج وصنعة الكتابة، نبذ منه ملحقه بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٨٩) .

. الحنبلي : احمد بن ابراهيم (ت ٨٧٦هـ /١٤٧٢م) .

(٧) شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق : ناظم رشيد (بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨) .

– ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م) .

(٨) وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان : تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي (بيروت : دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٧) .

– سبط ابن الجوزي: شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) .

(٩) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان (الهند : دائرة المعارف الاسلامية، د. ت) .

– ابو شامة : شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن (ت٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) .

(١٠) الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تعليق : ابراهيم شمس الدين (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢).

– ابن شداد : عز الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم (ت٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) .

(١١) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (دمشق، ١٩٧٨) .

– الصوري : وليم (توفي بعد سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م) .

(١٢) تاريخ الحروب الصليبية (الاعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ترجمة : د. سهيل زكار (بيروت : دار الفكر، ٢٠٠٣) .

– ابن العديم : كمال الدين ابي القاسم عمر بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م).

(١٣) زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق : د. سهيل زكار (دمشق : دار الكتاب العربي، ١٩٩٨) .

– العظيمي: محمد بن علي بن محمد بن احمد (ت٥٣٢هـ/١١٣٨م) .

(١٤) تاريخ حلب (مختارات من تاريخ حلب)، تحقيق : د. سهيل زكار (مطبوع ضمن كتابة الحروب الصليبية)، (دمشق : دار حسان، ١٩٨٤) .

– ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) .

(١٥) شذرات الذهب في اخبار من ذهب (بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت) .

– ابو الفدا : عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) .

(١٦) المختصر في اخبار البشر (بيروت : دار المعرفة، د. ت) .

– ابن القلانسي: ابو يعلى حمزة بن اسد بن علي بن محمد التميمي (ت٥٥٥هـ/١١٩٥م) .

(١٧) ذيل تاريخ دمشق (بيروت : مطبعة الاباء اليسوعيين، ١٩٠٨) .

– القلقشندي : احمد بن علي (ت٨٢١هـ /١٤١٨م) .

(١٨) صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق : محمد حسين شمس الدين (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٧) .

– ابن كثير : عماد الدين ابي الفداء اسماعيل (ت ٧٤٤هـ /١٣٧٢م) .

(١٩) البداية والنهاية، تحقيق : حامد احمد الطاهر (القاهرة : دار الفجر للتراث، ٢٠٠٣)

– ابن واصل،جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) .

(٢٠) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة : دار احياء التراث العربي، ١٩٥٣) .

– ياقوت الحموي : شهاب الدين عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) .

(٢١) معجم البلدان (بيروت : دار بيروت، دار صادر، ١٩٥٥) .

ب – المراجع الثانوية :

– اكسبارا، اندر :

(١) الحقيقة اغرب من الخيال (بيروت،١٩٨٨) .

. تدمري،عمر عبد السلام :

(٢) تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (ط٢، بيروت :مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤).

. التكريتي،محمود ياسين :

(٣) الايوبيون في شمال الشام والجزيرة (بغداد :دار الرشيد للنشر،١٩٨١).

– جب، هاملتون :

(٤) صلاح الدين الايوبي (دراسات في التاريخ الاسلامي)، ترجمة : يوسف ايبش (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣) .

(٥) سيرة نور الدين، ترجمة وتعليق : د. محمد مؤنس عوض (منشور ضمن كتاب الحروب الصليبية بأشراف كينيث سيتون)، (رام الله : بيت المقدس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤) .

. الجميلي،رشيد :

(٦) دولة الاتابكة في الموصل (بيروت : دار النهضة، ١٩٧٠)

– الحايك، منذر :

(٧) مملكة حمص في العصر الأيوبي (دمشق، ٢٠٠٢) .

– حبشي، حسن :

(٨) نور الدين والصليبيون (القاهرة : دار الفكر العربي، د. ت) .

– حومد، اسعد محمود :

(٩) تاريخ الجهاد لطرد الغزاة الصليبيين (دمشق، ٢٠٠٢) .

– الحويري، محمود محمد :

(١٠) بناء الجبهة الاسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين (ط٧، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤) .

– خليل،عماد الدين :

(١١) عماد الدين زنكي (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٧١) .

– رنسيمان، ستيفن :

(١٢) تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة : السيد الباز العريني (ط٢، بيروت : دار الثقافة، ١٩٨١) .

– طقوش، محمد سهيل :

(١٣) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام (بيروت : دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩) .

– عاشور، سعيد عبد الفتاح :

(١٤) الحركة الصليبية (ط٣، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٦) .

ج– الموسوعات :

– احمد الشنتناوي وآخرون :

(١) دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة : احمد الشنتناوي وآخرون (طهران : المكتبة التجارية، د.ت) .

– الازدي، محمد خير الدين :

(٢) موسوعة حلب الحضارية (حلب، ١٩٨٨) .

د – الرسائل الجامعية :

– عباس، علي سلطان :

(١) مدينة عكا في العهدين الايوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٧ .

هـ– الدراسات الأجنبية :

- Grousset, R :

1- Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem,(Paris, 1935) .

- Setton,،enneth Meyer :

2- A History of the Crusades (Wisconsin, 1969) .

- Stevenson, William Barron :

3- The Crusaders in the East (Cambridge : 1967).